" أن " المخففة من الثقيلة

✍ إعداد الدكتور

محمد بن إبراهيم الثاقب

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة الملك سعود

E MAIL: Malthageb@ksu.sa

الملخص

" أن " المخففة من الثقيلة

إعداد الدكتور / محمد بن إبراهيم الثاقب

تأتي (أن) في اللغة العربية على أربعة أنواع : مصدرية ، وزائدة ، ومفسرة ، ومخففة من الثقيلة ، وهذا البحث يُعنى ببيان هذه الأنواع وما ورد فيها بين العلماء من خلاف ، كما يُعنى البحث ببيان الفروق بين هذه الأنواع .

الكلمات المفتاحية: أن ، المخففة ، الثقيلة ، الزائدة ، المفسرة ، المصدرية.

E MAIL: Malthageb@ksu.sa

Summary

"That" diluted from heavy

Dr. Mohammed bin Ibrahim Al Thaqib

In the Arabic language, there are four types: source, excess, interpreted, and mitigated. This research is concerned with explaining these types and their differences among scientists, as well as researching the differences between these types.

Keywords: that, diluted, heavy, excess, interpreted, source.

E MAIL: Malthageb@ksu.sa

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، ونصلي ونسلم على خير من نطق بالضاد ، وكان كلامه الحكمة وفصل الخطاب... وبعد ....،، فإن في العربية ألفاظ تتحد صيغتها وتعدد معانيها، وعلى ضوء ذلك تتغير استعمالاتها. ومن هذه الألفاظ الواو التي تكون حرف عطف وحرف جر للقسم و واو"رب" و واو المعية و واو الحال، وكذلك "أو" التي تكون حرف عطف أو حرفاً ينصب بعد المضارع ومن هذه أيضاً "حتى" التي تستعمل حرف جر أو حرف عطف أو حرفاً ينصب بعدها الفعل المضارع أو حرف انتقال (ابتدائية)، وكذلك الهمزة التي تستعمل للاستفهام والنداء، و"من" التي قد تكون اسم استفهام واسم شرط واسماً موصولاً، ومما يدخل في هذا أيضاً "ما" التي تجيء حرف نفي وحرفاً مصدرياً واسم استفهام واسم شرط واسماً موصولاً وتعجبية، وكذلك يكون الأمر مع "لا" التي تستعمل حرف نفي وحرف نهي وحرف عطف وحرف جواب، وكذلك يكون مع اللام التي تكون حرف جر وحرفاً ينصب بعدها المضارع وحرفاً يجزم بعدها الفعل المضارع وحرفاً للابتداء واللام المزحلقة والواقعة جواباً ل "لو- لولا..... هذا الأمر ينطبق على "أن"

المخففة من الثقيلة؛ حيث إن لها شكلاً واحداً لكنها لها أكثر من معنى حسب السياق الذي تكون فيه، وهذا هو المحفز الرئيس الذي دعاني إلى كتابة هذا البحث من أجل بيان الاختلافات والفروقات بين أنواع "أن" المخففة.

لقد ذكر النحويون أن ل "أن" أربع حالات الأولى أن تكون مصدرية والثانية أن تكون مفسرة والثالثة أن تكون زائدة والرابعة أن تكون مخففة من "أن" الثقيلة.

وسنحاول في الصفحات التالية استعراض كل نوع على حدة وإيراد ما ذكره النحاة في ذلك.

أولاً: "أنْ" المصدرية:

وتكون هنا حرفاً مصدرياً تدخل على الفعلين المضارع والماضي وتؤول هي وما بعدها مصدر له محل من الإعراب ويكون الفعل المضارع بعدها منصوباً. وهي فرع من "أن" المشددة لمشابهتها باختصاصها بالفعل ومشابهتها لها باللفظ أما من جهة المعنى لأنها هي والفعل الذي يليها في

تأويل مصدر[١] ."كقولهم إن تأتني خير لك" والمعنى الإتيان خير لك" ومنه قوله تعالى "وأن تصوموا خير لكم"[٢] فنصب الفعل المضارع بعدها ووقعت معه في محل رفع مبتدأ أي : صيامكم. وإذا أتت بعد لفظ دال على معنى اليقين فتكون في محل رفع فاعل كقوله تعالى: " ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله".[٣]فتكون "أن" والفعل في تأويل مصدر تقديره (خشوع) في محل رفع فاعل، وتكون في محل نصب كقوله تعالى" وما كان هذا القرآن أن يفترى"[٤]فتكون هي وصلتها في تأويل مصدر تقديره "افتراء" في محل نصب خبر كان، وتكون في محل جر نحو قوله تعالى " وأمرت لأن أكون أول المسلمين"[٥] فتكون مع صلتها في محل جر.[٦]وهي قد تأتي قبل الفعل المضارع كما سبق غير أنها قد تأتي قبل الماضي كقوله تعالى " لولا أن من الله

(١) سيبويه، الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، ط٢، (القاهرة)، مكتبة الخانجي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ج٣، ص١٥٠.

(٢) البقرة، آية ١٨٣.

(٣) سورة الحديد: الآية ١٦

(٤) سورة يونس: آية ٣٧

(٥) سورة الزمر: آية ١٢

(٦) ابن هشام، معنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ومراجعة سعيد الأفغاني، ط(٥) (بيروت): دار الفكر ١٩٧٩م، ص ص ٤١- ٤٢.

علينا"[1] ولأصالة "أن" في نصب الفعل المضارع تعمل ظاهرة ومضمرة بخلاف بقية النواصب التي لا تعمل إلا ظاهرة، ويعلل الأنباري ذلك بقوله "إن قال قائل لم وجب أن تعمل "أن" النصب؟ قيل إنما وجب أن تعمل لاختصاصها بالفعل ووجب أن يكون عملها النصب، لأن "أن" الخفيفة تشبه "أن" الثقيلة وأن الثقيلة تنصب الاسم فكذلك أن هذه يجب أن تنصب الفعل"[2].

وتأتي "أن" ظاهرة كما سبق أو مضمرة وإضمارها قد يكون جائزاً إذا جاءت بعد لام التعليل ولم يقترن الفعل بلا كقوله تعالى: " وأمرنا لنسلم لرب العالمين" أو جاءت بعد "أو" و"الواو" العاطفتين وكان العطف على اسم ليس في تأويل الفعل كقوله تعالى " أو يرسل رسولا".[3]ونحو: "ولبس عباءة وتقر عيني"[4] وكذلك إذا جاءت بعد الفاء العاطفة نحو " لولا توقع معتز

(١) القصص: آية ٨٢

(٢) الأنباري، أسرار العربية، تحقيق: محمد بهجت البيطار، ط. (دمشق) المجمع العلمي العربي (د.ت)، ص ٣٢٨.

(٣) سورة الشورى: أية ٥١.

(٤) البيت لميسون بنت جحدل (زوج أبي سفيان)، والشطر الثاني من البيت أحب إلي من لبس الشفوف.

فأرضيه[١]والأمر نفسه إذا جاءت بعد "ثم" نحو قوله: "إني وقتلي سليطا ثم أعقله".[٢]

ويكون الإضمار واجباً في خمسة مواضع: الأول : إذا سبقت بكون ناقص منفي كقوله تعالى: " وما كان الله ليظلمهم"[٣] ، والثاني: إذا وقعت بعد "أو" وهي مضمرة وصلح أن تحل "حتى" محلها مثل " لألزمنك أو تقضيني حقي"، والثالث: إذا جاءت مضمرة بعد "حتى" وكان الفعل مستقبلاً كقوله تعالى: " وقاتلوا التي تبغي حتى تفيء "[٤]. والرابع: إذا جاءت بعد فاء السببية المسبوقة بنفي أو طلب محضين نحو قوله تعالى: "لايقضي عليهم فيموتوا".[٥]، أما الموضع الخامس: إذا وقعت وهي مضمرة بعد واو المعية نحو "لاتنه عن خلق وتأتي مثله"[٦][٧].

(١) وتكملة البيت: ما كنت أوثر إترابا على ترب. وهو غير منسوب.، أنظر السيوطي، همع الهوامع. ج٢: ص١٧.

(٢) وتتمه البيت: كالنور يضرب لما عافت البقر. والبيت لأنس بن مدرك الخثعمي.

(٣) سورة العنكبوت: آية ٤٠

(٤) سورة الحجرات: أية ٩

(٥) سورة فاطر : أية ٣٦

(٦) وتتمة البيت، عار عليك إذا فعلت عظيم، والبيت منسوب لأبي الأسود الدؤلي.

(٧) ابن هشام، أوضح المسالك، ج٤: ص١٧٢. الرضي، شرح كافية ابن الحاجب، ج٢، ص ٨٢٨.

هذه –تقريباً– مجمل ما أورده النحاة في هذا الموضوع والحقيقة أن النحاة كانوا متفيقين إلى حد بعيد –حول أحوالها فلا يوجد خلاف واضح بينهم في هذا الأمر، غير أن الخلاف الذي وقع بينهم في مسألة دخول "أن" المصدرية على فعل الأمر، حيث ذهب سيبويه إلى جواز ذلك مستدلاً بقولهم: "كتبت إليه أن أفعل" و" أمرته أن قم" ويدلل سيبويه على أنها "أن" الناصبة للأفعال بقوله : "والدليل على أنها تكون أن التي تنصب أنك تدخل الباء فتقول : أوعزت إليه بأن أفعل".[1] ومع ذلك فقد اختلف النحاة في هذا الأمر وعلل بعضهم ذلك بأمرين: الأول: أنها إذا سبكت والفعل بمصدر فات في معنى الأمر، والثاني: أن كلام العرب ليس فيه: "يعجبني أن قم". وقد نقل ابن هشام عن أبو حيان الذي يرى أن "أن" إذا دخلت على فعل الأمر تفسيرية وليست مصدرية واستدل على ذلك بدليلين أحدهما: أنهما إذا قدرا بالمصدر فات معنى الأمر، والآخر: أنهما لم يقعا فاعلا لا مفعولا.[2] وقد اتفق النحاة على جواز اتصالها بالفعل المتصرف مطلقاً وعدم اتصالها بالفعل الجامد، وقد

(١) سيبوية، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط٣، (القاهرة)، مكتبة الخانجي، ١٤٠٨هـ، ٣٦: ص ١٦٢.

(٢) ابن هشام، مغني اللبيب، ص٤٤..

أورد السيوطي ذلك بقوله " أما الفعل الجامد كعسى وهب وتعلّم فلا توصل به اتفاقا".[١]

ثانياً: أن المفسرة التي بمنزلة "أي":

عندما تكون "أن" للتفسير فإنها لا تؤول مع ما بعدها بمصدر بل تكون بمنزلة "أي" المفسرة لأنها تفسر ما قبلها؛ أي أنها تبيّن مضمون القول بعد الفعل الدال على القول، ولا تكون تفسيرية إلا لفعل في معنى التراجم الخمس[٢] الكاشفة عن كلام النفس[٣]، نحو: "أو مأت إليه أن قم" فإن استعضنا بأي عن "أن" في هذه الجملة نجد أن المعنى يكون مستقيماً، ولا يكون لهامحل من الإعراب لأنها حرف يعبر به عن المعنى.[٤]

---

(١) السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط(١) (بيروت) دار الكتب العلمية ١٤١٨هـ، ج١، ٢٦٤.

(٢)هي : اللفظ، الخط، الإشارة، العقد، النصب.

(٣) السهيلي، نتائج الفكر في النحو، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١ (بيروت) دار الكتب العلمية ١٤١٢هـ ص ٩٨.

(٤)علي بن محمد الهروي، الأزهرية في علم الحروف، تحقيق: عبد المعين الملوحي ط٣ (دمشق) ١٤١٢هـ. ص٧١.

وتجيء "أن" المفسرة – غالباً – بعدد فعل يفيد معنى القول ولا يكون بلفظه، نحو: "كتبت إليه أن سافر" و "أشرت إليه أن أقبل" ولهذا هي لا تأتي بعد فعل: "قال" أو "يقول" أو "قل" لأنها تفيد معنى القول لكن ليست بلفظه؛ ولذلك لا تعمل فيما بعدها من الأفعال.

وينكر الكونيون "أن" التفسيرية البتة.[1] لأنها عندهم تحتمل المصدرية بأن يقدر قبلها حرف جر إذا دخلت على فعل الأمر كما في قوله تعالى :"وأوحينا إليه أن اصنع الفلك"[2]، كما يمكن حملها عل "أن" المخففة– التي سيأتي ذكرها– إذا دخلت على الجملة الأسمية.[3] وقد ذكر ابن هشام أنه يميل إلى قولهم فيها بأنها تختلف عن التفسيرية والمخففة في معناها فإنك إن قلت: " كتبت إليه أن قم" لم يكن "قم" مثل "كتبت" ولكنها تحمل معنى

(١)ابن هشام، مغني اللبيب ٤٧. وانظر : ابن قاسم المرادي، الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق: طه محسن، ط (العراق) مؤسسة دار الكتب ١٣٩٦هـ. ج ١، ص٣٧. ارتشاف الضرب، أبو حيان، تحقيق: مصطفى النحاس.ط ١ (القاهرة، مطبعة المدني ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ج ٢: ٤٢٤.

(٢) سورة المؤمنون: آية ٢٧ .

(٣) ابن هشام، مغني اللبيب، ص٤٨.

تفسير الكتابة هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لو أبدلتها بأي لم يكن مقبولاً أيضاً.(١)

وقد اشترط جمهور النحاة مجموعة من الشروط لمجيء "أن" المفسرة هي:

الأول: أن تسبق بجملة تامة؛ لأنها وما بعدها جملة تفسر جملة قبلها، ولهذا غلّطوا من جعل منها قوله تعالى "وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين"(٢)لأن الجملة التي تسبقها ليست تامة.(٣)

الثاني: أن تتأخر عنها جملة، وهنا لافرق بين الجملة الفعلية أو الأسمية، ولا يصح أن يتأخر عنها اسم مفرد مثل: "ذكرت عسجداً أن ذهباً".(٤)

الثالث: أن يكون في الجملة معنى القول؛ أي أن يكون الفعل الذي تفسره وتعبر عنه فيه معنى القول وليس بقول لفظاً، فلا يقال: "قلت له أن افعل. وقد خالف ابن عصفور جمهور النحاة في هذا الأمر؛ حيث جوّز وقوعها بعد صريح القول مستدلاً على ذلك بقوله تعالى: "ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن

(١) ابن هشام، مغني اللبيب، ص٤٧.

(٢) يونس: آية١٠ .

(٣)سيبويه، الكتاب، ج١: ص٦٣، وفي هذا يقول: "ولا تكون أي لأن أي إنما تجيء بعد كلام مستغن ولا تكون في موضع المبني على المبتدأ" .

(٤) ابن هشام، معنى اللبيب: ص٤٨.

اعبدوا الله ربي وربكم"[١] إذ عدّ "أن" هنا مفسرة[٢] وعلى النقيض من ذلك نجد أن هناك من أجازوا وقوعها بعد فعل غير محتمل لمعنى القول كالزمخشري الذي ذهب إلى أن "أن" التي في قوله تعالى " وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون"[٣] تفسيرية لاعتقاده أن الإيحاء فيه معنى القول، وقد رد عليه صاحب التفسير الكبير بأن قبله "أوحى ربك إلى النحل" والوحي هنا إلهام باتفاق، وليس في الإلهام معنى القول، وإنما هي مصدرية باتخاذ الجبال بيوتاً.[٤] أما آخر هذه الشروط ألا تسبق بحرف جر فلو قلت: "كتبت إليه بأن أفعل كذا" كانت مصدرية.[٥]

(١) سورة المائدة، آية ١١٧ .

(٢) ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي، تحقيق: صاحب أبو جناح، ط ١ (العراق)، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية (إحياء التراث) ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ج٢، ص ٤٨٢ .

(٣) سورة النحل: آية ٦٨.

(٤) الفخر الرازي، التفسير الكبير،ط١، (القاهرة) المطبعة البهية المصرية، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م. ج ١٩، ص٧٠.

(٥) انظر: سيبويه، الكتاب ج١: ص ٦٢...، ابن هشام، مغني اللبيب، ص٤٩، الأعلم الشنتمري، النكث في تفسير كتاب سيبويه، تحقيق: رشيد بلحبيب، ط (المغرب)، وزارة الأوقاف١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ٤١٥. حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد. ط١ (القاهرة)، المكتبة الوقفية. (د.ت). ج١: ص١٨١.

ثالثاً: "أن" الزائدة:

تذكر كتب النحاة وكتب حروف المعاني أن "أن" تعدّ زائدة في أربع حالات:

الحالة الأولى: إذا وقعت بعد "لما" الحينية المقابلة ل "لو" التوقيتية.(١) نحو قولك "لما أن" وتكون في هذه الحالة ظرف زمان بمعنى :"حين" كقوله تعالى : "فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما".(٢) ويذكر النحويون المتأخرون أن زيادتها في هذه الحالة مطردة إلا أن الدكتور حسين محمد هنداوي فند هذا الزعم وذكر أنه أحصى مجيء "لمآ" الحينية في القرآن ووجدأنها وردت مئة وإحدى وثلاثين مرة ولم تزد بعدها إلا في ثلاثة مواضع فقط (يوسف:٩٦- القصص: ١٩- العنكبوي:٣٣). كما أكد قوله هذا بأن المتقدمين من

(١) انظر: ابن هشام، مغني اللبيب، ص٥٠. ابن الناظم، شرح ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد باسل عون، ط١ (بيروت) ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص٦٦٧، ويقصد بذلك أن "لمآ" تدل على الوقت وتعينه فإذا قلت: "لما جاء زيد جاء عمرو" فقد عنيت وقت مجيء عمرو، وأخبرت أنه وقت مجيء زيد. وهي حرف وجوب لوجوب وهي تفيد التوكيد. انظر: أبوحيان، ارتشاف الضرب، تحقيق: مصطفى النحاس، ط١ (القاهرة)، مطبعة المدني: المؤسسة السعودية بمصر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ج٢، ص٤٢٤.

(٢) د. محمود هنداوي، "أن" الزائدة عند النحويين والمفسرين (مجلة البحوث والدراسات القرآنية- العدد الأول).

النحاة لم يشيروا إلى إطراد زيادتها بل مجمل كلامهم كان يدور حول زيادتها فقط بعد هذا الموضع ولعله مصيب فيما ذهب إليه.

الحالة الثالثة: أن تقع "أن" بعد فعل القسم و"لو" سواء أكان القسم مذكوراً أم متروكاً، كقولك:"أما والله لو فعلت لفعلت". ومنه قول المسبب بن علس :

فأقسم أن لو التقينا وأنتم لكان لكم يوم من الشر مظلم[1][2]

وقد أنكر أبو حيان الأندلسي الزيادة في هذه الحالة بل عدها "أن" المخففة من الثقيلة التي سيرد ذكرها بعد ذلك.[3]

الحالة الثالثة: أن تقع بعد الكاف ومجرورها، وهو مقصور على الشعر؛ إذ لم يسمع عن العرب مثل هذا في النثر، ومن هذا قول الشاعر:

(١) سيبويه، الكتاب، ج٣، ص ١٥٢. ابن هشام، المغني، ص ٥٠.

(٢) قام محقق الكتاب د. عبدالسلام هارون بتخريج البيت وهو موجود في كتاب إيضاح الشعر لأبي علي الفارس، تحقيق حسن هنداوي، ط (دمشق) دار القلم، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. ص ٤٨٢.

(٣) ذكر د. حسن هنداوي أنه وقع على رأي أبي حيان في كتابه " التذييل والتكميل" الذي ما زال جزء منه مخطوطاً ود. حسن هنداوي يقوم على تحقيقه. أما أنا فلم أعثر على هذا القول في الأجزاء المطبوعة من الكتاب.

ويوما توافينا بوجه مقسم كأن ظبية تعطو إلى وارق السلم.(١)

في رواية من جر "ظبيةٍ"

وكذلك قول الشاعر :

تُمشي بها الدرماء تسحب قُصبها كأن بطِن حُبلى ذات أونين مقام

في رواية من جر "بطن"(٢)

الحالة الرابعة" بعد إذا ، كقول الشاعر

فأمهله حتى إذا أن كأنه معاطي يد في لجة الماء غامر.(٣)

ومجيئها هنا نادر كسابقة إذ لم تورد كتب النحو شاهداً آخر غير هذا.

---

(١) سيبويه، الكتاب ، ج١: ص ٢٨١. ابن هشام، المغني، ص٥١ والبيت لعلباء بن أرقم (الأصمعيات) ص ١٥٧، تحقيق: أحمد شاكر وعبدالسلام هارون. ط٥ (بيروت) مصورة عن نسخة دار المعارف بمصر الذي نشر عام ١٩٠٢م. .

(٢) الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق: محيي الدين عبدالحميد. ط (القاهرة)، دار الفكر (د.ت) ج٢: ص٢٠٤. وقد نسب صاحب التحقيق البيت لذي الرمة.

(٣) البيت لأوس بن حجر. انظر : (ابن هشام، مغني اللبيب، ص ٥١، عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط٣ (القاهرة)، مكتبة الخانجي، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ج : ١٠، ص ٤١١ .

وقد نقل ابن جرير الطبري في تفسيره لقوله تعالى "فلما أن جاء البشير" في سورة يوسف قولاً نسبه إلى بعض أهل العربية من أهل الكوفة قولهم : إن العرب تدخلها وتسقطها أحياناً في "لما" و "حتى"[1] فكأنه هنا يشير إلى أنها لا تزاد إلا في هذين الموضعين ونلاحظ أن النحاة المتأخرين أكدوا هذا الرأي؛ حيث ذهب أبو حيان والرضي إلى أن زيادتها مطردة بعد "لما" وبين "لو" والقسم، وتقل بعد كاف التشبيه، ولم يشيرا إلى "إذا".[2] أما ابن عصفور فقد قصر زيادتها بإطراد بعد "لما" وما عدا ذلك يحفظ ولا يقاس عليه.[3]

(١) الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط (القاهرة)، مكتبة ابن تيمية، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ج ١٦، ص ٢٦٠.

(٢) أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج٢: ٤٢٣. الرضي الأستراباذي، شرح كافية ابن الحاجب، تحقيق: يحي بن بشير مصري، ط١ (الرياض)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م. ج ٢، ص ١٣٧٤.

(٣) ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير)، ج٢، ص٤٨٢.

وشابهه في هذا ابن يعيش الذي ذكر أن زيادتها مطردة بعد "لما" وبعد "لو" والقسم ولم يشر إلى غير ذلك.(١) و"أن" عندما تكون زائدة فإن لها قيمة دلالية ألا وهي التوكيد.(٢)

رابعاً: أن المخففة من الثقيلة:

اختلف النحاة فيما بينهم أتعمل "أن" المخففة كأصلها المثقل أم تهمل؟ وقد تنازع الذين قالوا بعملها أتعمل مطلقاً أم تعمل بقيد؟ وافترق الذين قيدوا عملها في الوجه الذي اقتصر عليه العمل. والذي أدخل الشبهة عليهم قلة الشواهد التي يظهر فيها صراحة أن ل "أن" المخففة عملاً.

ويمكن تصنيف مذاهب النحاة في عمل "أن" المخففة إلى ستة مذاهب على النحو الآتي:

المذهب الأول: أنها تعمل مطلقاً فتنصب الاسم الظاهر والمضمر، فيقال : "علمت أن زيداً قائم". وهذا المذهب لم يسم قائلوه لكن حكاه السيوطي من دون نسبة، وذكر أن أصحابه احتجوا بقوله تعالى : " والخامسة

(١) ابن يعيش، شرح المفصل ط (بيروت) عالم الكتب، (د.ت). وهي نسخة مصورة عن طبعة بولاق. ج ٨، ص ١٣٠- ١٣١.

(٢) المصدر السابق، ج ٨، ١٣١ .

أن غَضَبَ الله عليها".[١] في قراءة من قرأ بسكون نون "أن" وفتح حروف لفظ غضب".[٢]

وهذه القراءة لم أجد لها ذكراً – فيما تيسر لي– في كتب القراءات والتفسير والنحو، بل لم أقع على شاهد لعمل "أن" المخففة في الاسم الظاهر البتة. أما عملها في الضمير البارز فسيأتي نقاشه عند عرض المذهب الثاني.

المذهب الثاني: أنها تعمل في الضمير البارز المتصل فقط، وقد حكى ذلك أبو حيان عن الفراء.[٣] وذكر أنه احتج في ذلك بقول الشاعر:

فلو أنك في يوم الرخاء سألتني طلاقك لم أبخل وأنت صديق[٤]

ويشهد له كذلك قول الشاعر:

بأنك ربيع وغيث مريع[٥] وأنك هناك تكون الثمالا[٦][٧]

(١) سورة النور: آية٦.

(٢) السيوطي، همع الهوامع،ج١، ص ١٤٢ ..

(٣) أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج٢، ص ١٥٢.

(٤) هذا البيت مجهول القائل. وهو شاهد في: ابن يعيش، شرح المفصل،ج ٨، ص ٧٢.ابن الناظم، شرح ابن الناظم، ص٦٩. أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج٢، ص١٥٢. ابن هشام، مغني اللبيب، ص ٤٧. الأشموني، شرح الأشموني، ج١، ص ٣١٩ .

(٥) مريع: مخصب.

(٦) ثمال: غياث.

(٧) البيت لجنوب الهذلية ترثي أخاها عمراً ذا الكلب، وهو شاهد في: ابن مالك، شرح التسهيل، ج٢، ص٤٠. ابن الناظم، شرح ألفية ابن مالك، ص٦٩. ابن هشام ، مغني اللبيب،=

وهذان البيتان محمولان عند جمهور النحاة على الضرورة[1] وهذا مقبول لأن من يقول بعمل "أن" المخففة في الضمير لم يأت بشاهد نثري على هذا العمل مع قلة ورود هذه الظاهرة في الشعر أصلاً .

المذهب الثالث: أنها تعمل شرط أن يكون اسمها ضميراً محذوفاً وخبرها جملة ، وهذا هو مذهب الجمهور وأكثرهم يزيد على هذا اشتراط أن يكون الضمير المحذوف ضمير شأن.[2]فعلى سبيل المثال يقال في قوله تعالى: " وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين"[3] أن اسم "أن" المخففة ضمير شأن محذوف في محل نصب وجملة "الحمد لله رب العالمين" في محل رفع خبرها. وخالف هذا ابن مالك قائلاً: "ولا يلزم كونه ضمير شأن كما زعم

= ص ٤٧. الأشموني، شرح الأشموني، ج١، ص٣٢٠. ورواية البيت في ديوان الهذليين ٣:١٢٢: "بأنك كنت الربيع المربع" وعلى هذه الرواية لا شاهد في البيت..

(١) ابن مالك، شرح التسهيل، ج٢: ص ٤٠. ابن الناظم، شرح ألفية ابن مالك، ص٦٩. ابو حيان، ارتشاف الضرب، ج٢، ص ١٥٢. ابن هشام، مغني اللبيب، ص ٤٧. الأشموني ، شرح الأشموني، ١: ٣٢٠.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ٨:٧٢. ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي ١: ٤٣٦. ابن مالك، شرح التسهيل، ج٢: ٤١. الأشموني، شرح الأشموني، ١: ٣٢٠ .

(٣) سورة يونس، آية ١٠.

بعضهم بل إذا أمكن عوده على حاضر أو غائب معلوم فهو أولى".[١] واحتج ابن مالك بأن سيبويه قال في قوله تعالى : "وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا"[٢]: "كأنه قال – عز وجل–: "وناديناه أنك".[٣]

المذهب الرابع: أنها لا تعمل إلا في اسم ظاهر أو ضمير محذوف. وهذا القول لابن عصفور، غير أنه لم يأت بشاهد من كلام العرب بل اكتفى بأن مثل لعملها في الاسم الظاهر بعبارة :" يعجبني أن زيداً قائم".[٤]

المذهب الخامس: أنه يجوز فيها الإعمال والإهمال؛ وعندما تعمل فلا تعمل إلا في ضمير محذوف. وهذا هو مذهب سيبويه؛ حيث قال أولاً عن "أن" المخففة: " ولا تخففها في الكلام أبداً وبعدها الأسماء إلا وأنت تريد الثقيلة مضمراً فيها الاسم"[٥]، ثم قال بعد ذلك: " ولو أنهم إن حذفوا[٦]

(١) ابن مالك، شرح التسهيل، ج٢: ص ٤١.

(٢) سورة الصافات، آية ١٠٤و ١٠٥.

(٣) سيبويه، الكتاب ٣: ١٦٣. وقد نقل سيبويه فيه عن الخليل أنه يجوز أن تكون "أن" في الآية الكريمة تفسيرية.

(٤) ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي، ج٢:ص ٤٣٦.

(٥) سيبويه، الكتاب، ج٣: ص ص ١٦٣– ١٦٤.

(٦) يقصد بذلك: تخفيف" أنَّ" بحذف إحدى نونيها .

جعلوه بمنزلة إنما، كما جعلوا إن بمنزلة لكن لكان وجهاً قوياً".[١] وقد تمسك جمهور النحويين بعبارته الأولى فأطلقوا القول بعمل "أن" في ضمير محذوف ولم يلتفت لعبارته الأخرى سوى نفر قليل منهم.[٢]

المذهب السادس: أن "أن" المخففة مهملة مطلقاً وهذا المذهب نسبه السيوطي إلى سيبويه،[٣]وقدسلف تحقيق مذهبه الذي ينص على إعمالها وجواز إهمالها. كما نسب هذا القول جماعة من النحويين إلى الكوفيين،[٤] غير أني لم أجد هذا الأمر مسطوراً فيما تبقى من كتبهم، وإن صحّت هذه النسبة إلى الكوفيين فإن الفرّاء مستثني من جملتهم لما سلفت حكايته عنه من أن "أن" المخففة تعمل في الضمائر المتصلة البارزة.

(١) سيبويه، الكتاب، ج٣: ص١٦٥.

(٢) أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج ٢، ص ١٤٢.

(٣) السيوطي ، همع الهوامع، ج ١: ص ١٤٢.

(٤) أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج٢: ص ١٥٢. ابن هشام ، مغني اللبيب، ص ٤٧. السيوطي، همع الهوامع، ج١: ص ١٤٢.

الخاتمة

عندما نتأمل هذه الأقوال ومعارضتها بالفصيح من كلام العرب يمكن القول باطمئنان أن "أن" المخففة لا تعمل لفظاً في الشائع المقيس عليه من كلام العرب. وإنما الكلام في عملها في ضمير محذوف دائماً على قول الجمهور سواء أكان هذا الضمير ضمير شأن أم لم يكن. لقد أحس بعض النحويين بغرابة التمسك بالقول إن أداة تعمل عملاً لا يظهر في اللفظ البتة، فحاولوا الاعتذار من هذا بوجوه؛ فمنهم من قال إن "أن" ليست كغيرها من الحروف النواسخ لأن سائر هؤلاء الأحرف علاقتها بما بعدها واحدة؛ علاقة العامل بالمعمول، أما "أن" المخففة فلها هذه العلاقة وعلاقة أخرى هي أن اتصالها بما بعدها يماثل اتصال الصلة بالموصول إشارة إلى أن "أن" من بين الحروف النواسخ حرف مصدري ينسبك وما بعده في تأويل مصدر(١). ومنهم من اعتذر ومن ذلك بأن الموجب لعملها عدم زوال اختصاصها بالأسماء؛ محتجاً في ذلك بالتزامهم الفصل بينهما وبين الفعل إذا وليها فعل إلا إن كان هذا الفعل فعلاً جامداً فإنهم لا يفصلون بينهما لشبه الفعل الجامد بالاسم من جهة عدم تصرفه.

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ٢: ٧٣ .

ومع ما في مثل هذه الاعتذارت من حذق إلا أن العمل لا يفرضه القياس النحوي بل يأتي تلبية للحاجة اللغوية إلى التمييز بين مواقع الكلم كمعرفتنا بأن هذا اسم "أن" لأنه منصوب، وذلك خبرها لأنه مرفوع، وإذا سلمنا بهذا فما الحاجة إلى تعقيد الباب بالقول أن "أن" مخففة والتمحل لمعمول لها نعلم أنه لا يظهر ولا حاجة إلى ظهوره؟ فالأولى أن يقال في نحو : "أن الحمد لله رب العالمين" أن "أن" حرف مهمل و "الحمد" مبتدأ وخبره "رب". والاستغناء عمّا عدا ذلك من أقوال، خاصة بما كان مخاطباً به المبتدئون، ولا بأس بسرد قول الجمهور لمن كان غرضه التخصص في علم النحو ليكون عالماً بهذا الشأن إذا اعترضه شيء من ذلك أثناء تصفحه لمطولات هذا العلم.

المصادر والمراجع

١- ارتشاف الضرب، أبو حيان، تحقيق: مصطفى النحاس، ط١، القاهرة: مطبعة المدني(المؤسسة السعودية بمصر) ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م

٢- أسرار العربية، الأنباري، تحقيق: محمد بهجة البيطار، ط (دمشق): المجمع العلمي العربي (د.ت).

٣- الأزهرية في علم الحروف، علي الهرمي، تحقيق: عبدالمعين الملوحي، ط٣ (دمشق): ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٤- الإنصاف في مسائل الخلاف، الأنباري، تحقيق: محيي الدين عبدالحميد، ط١ (القاهرة: دار الفكر (د.ت).

٥- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام، تحقيق: محيي الدين عبدالحميد، ط (بيروت): المكتبة العصرية (د.ت).

٦- إيضاح الشعر، أبوعلي الفارسي، تحقيق: د. حسن هنداوي، ط (دمشق): دار القلم ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٧- تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، تحقيق: محمود شاكر، ط (القاهرة) : مكتبة ابن تيمية ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٨- التفسير الكبير، الفخر الرازي، ط ١، (القاهرة): المطبعة البهية المصرية ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

٩- الجني الداني في حروف المعاني، ابن قاسم المرادي، تحقيق: طه محسن، ط (العراق): مؤسسة دار الكتب ١٣٩٦هـ

١٠- حاشية الصبان على شرح الأشموني، الصبان، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، ط (١) (القاهرة): المكتبة الوقفية (د.ت).

١١- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبدالقادر البغدادي، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط (٣) (القاهرة): مكتبة الخانجي ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

١٢- ديوان الهذليين، تحقيق: أحمد الزين ومحمود أبو الوفا، ط (القاهرة): دار الكتب المصرية ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م

١٣- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك) قدم له ووضع فهارسه: حسن حمد، إشراف: إميل

يعقوب، ط(١) (بيروت): دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٤- شرح ألفية ابن مالك، ابن الناظم، تحقيق: محمد باسل عون، ط(١) (بيروت): ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٥- شرح التسهيل، ابن مالك، تحقيق: عبدالرحمن السيد ومحمد المختون، ط (القاهرة): هجر للطباعة والنشر ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م

١٦- شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور، تحقيق: صاحب أبوجناح، ط(١) (العراق) : وزارة الأوقاف والشؤون الدينية (إحياء التراث) ١٩٨٢م.

١٧- شرح كافية ابن الحاجب، الرضي الأستراباذي، تحقيق: يحيى بشير مصري، ط(١) (الرياض): جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٨- شرح المفصل، ابن يعيش، ط (بيروت): عالم الكتب (د.ت) (مصورة عن طبعة بولاق).

١٩- الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط(٥) (القاهرة): الخانجي ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٢٠- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمدالله ومراجعة: سعيد الأفغاني، ط(٥) (بيروت): دار الفكر ١٩٧٩م.

٢١- نتائج الفكر في النحو، السهيلي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، ط(١) (بيروت): دار الكتب العلمية ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٢٢- النكت في تفسير كتاب سيبويه، الأعلم الشنتمري، تحقيق: رشيد بلحبيب، ط (المغرب) وزارة الأوقاف ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢٣- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط (١) (بيروت) : دار الكتب العلمية ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

المجلات العلمية:

مجلة البحوث والدراسات القرآنية- العدد الأول.